الأثر الحجاجي للاستعارة – الحديث النبوي الشريف أنموذجا–

The argumentative effect of metaphor - the noble hadith as a model-

صدارة بلخير[1]
جامعة الجزائر2
belkhir.sdara@univ-alger2.dz
أ.د هندة بوسكين
جامعة الجزائر2
Hinda.boussekine@univ-alger2.dz

تاريخ الوصول 2022/07/19 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05
Received 19/07/2022 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

يعالج هذا المقال الصور البلاغية ليس باعتبار تأثيرها الجمالي فقط، ولا باعتبارها نمطا أدبيا في التعبير فحسب، وإنما ينظر إليها باعتبارها تقنية من تقنيات الخطاب الإقناعي.

ووقع الاختيار عل صورة الاستعارة في الخطاب النبوي في مقامها التداولي دون إغفال مالها من جانب جمالي ومن منظور التفاعل الحاصل بين المتكلم ، والمخاطب، وتفاعل الطرفين مع المقام بما يبرز حجاجيتها وقدرتها على الإقناع.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الصورة البلاغية، الحديث النبوي، الاستعارة الحجاجية.

Abstract:

Argumentation does not look at figures of speech in terms of their aesthetic effect only, nor just as a literary style of expression , but rather as a technique of persuasive discourse.

On this basis, the metaphor in the Prophetic speech will be viewed in its deliberative position without losing a sight on its aesthetic aspect and from the perspective of the interaction between the speaker and the addressee, and the interaction of the two parties with the position, which highlights its argumentative aspect and its ability to persuade.

Keywords: argumentation, figures of speech, Prophetic speech, argumentative metaphor.

[1] المؤلّف المراسل: صدارة بلخير البريد الإلكتروني: : **belkhir.sdara@univ-alger2.dz**

1. مقدمة:

إن الحديث النبوي الشريف ينهض في لغته وتعبيره على أساس الإقناع والتأثير وهو بذلك يتجه لمخاطبة العقل والوجدان لأنّه مثل القرآن الكريم يتوجه إلى مخاطبة متلقين تختلف مشاربهم ومداركهم وأجناسهم، وفئاتهم وأعمارهم ومراكزهم ومستويات إدراكهم، فكان عليه أن يكيف خطابه على حساب كل صنف وأن ينفذ بكلامه إلى قلوبهم جميعا وأن يقنعهم بما جاءهم به من قيم وأفكار ومقاصد، ويحرك عواطفهم ويستميل نفوسهم للإقبال على دعوته، وقد استخدم في ذلك لغة فيها من وسائل الإقناع والتأثير وآلياتهما الشيء الكثير.[1]

لذلك يتجه هذا المقال إلى محاولة رصدِ الأثر الحجاجي للاستعارة في الخطاب النبوي لما لها من طاقات حِجاجية لها خصوصيتها النابعة من خصوصية المحاجج – صلى الله عليه وسلم- ومن مقام النبوة، والإبلاغ المنوط به واستجلاء الأبعاد الحجاجِية التي اعتمدها – صلى الله عليه وسلم – لترسيخ معتقد ، أو استبدال مفهوم أو تعديل سلوك، أو دحض رأي أو شبهة، من خلال منظور تفاعلي يصلها بسياقات التداول، ومقامات التواصل.

ومما يجدر التنبه له أن المقال ينظر إلى الحديث النبوي باعتباره نصا له خصوصياته التي تميزه عن أي نص آخر، يضطلع بوظيفة إبلاغية تشريعية تهدف إلى تمكين مقتضى القول في نفس المتلقي الشاهد والغائب كتمثلها في نفس المتكلم صلى الله عليه وسلم[2]، غير مغفل كون الحجاج في الحديث النبوي ليس غاية في حد ذاته، ولكنه وسيلة لتحويل المضامين التشريعية والتربوية إلى منجز فعلي وواقع سلوكي، حيث السعي إلى الإقناع وتمكين الفكرة وتحويلها من فكرة قابلة للنقاش إلى يقين ثابت مستقر ليس إلا وسيلة لتحقيق غاية الإبلاغ، مما جعل هذا الحجاج يتميز بعدد من الخصائص التي تفرقه عن أي حجاج آخر، انطلاقا من خصوصية الخطاب النبوي نفسه.

وهنا يأتي السؤال الذي يسعى أن يجيب عنه هذا المقال : أين يتجلى الأثر الحجاجي للاستعارة في الخطاب النبوي الشريف؟

2. مفهوم الحجاج:

2. 1 لغة: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها.

والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ:فَحَجَّ آدمُ مُوسَى[3] ، أَي غَلَبَه بالحُجَّة. واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمسْلَكُ. وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ:إِن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ

[2]- ينظر:حورية عميروش،حجاجية الصورة الفنية في الحديث النبوي،مجلة دراسات لسانية،مج 2، ع 8، 2018، جامعة الجزائر2، ص352.

[2]- عيد بلبع، 2008، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع، ص 215.

[3]- صحيح البخاري، المكتبة السلفية - القاهرة الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1400هـ

فأَنا حَجِيجُه[1]، أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ. والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي، أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة. ".[2]

ويعني هذا أن الحجاج هو أدلة وبراهين وآيات بينة وواضحة ومقصودة، يتسلح بها المحاجج لإقناع خصمه المدعي، وإفحامه عند اشتداد المخاصمة واشتعال أوارها، أو احتداد الخلاف والنزاع وسوء التفاهم. والغرض من الحجاج هو التغلب على الغير المخالف والمحاور والمعاند والمنكر والشاك والمحاجج، بإظهار الحقيقة الواقعية الناصعة، وإثباتها بشكل جلي منطقا وعقلا وتجريبا، بمختلف الحجج، وطرائق البيان، والاستدلال، والنظر، والجدل، والمناظرة.

2. 2 اصطلاحا:

يرى (برلمان وتيتيكا) أن نظرية الحجاج تعني : درسَ تقنياتِ الخطابِ التي من شأنها أن تؤثرُ في المتلقي وتؤدي به إلى الإذعان والتسليم أو الزيادة في درجة التسليم بما يعرض عليه [3]، ويعتمد ذلك على قدرة المتكلم على بناء نَصٍ حِجَاجيّ تتوفر له آلياتُه اللغوية والبلاغية والمنطقية للإقناع.

وعليه فإن الخطاب النبوي الشريف لا يخلو من بعد حِجَاجي ؛ فهو منهج إصلاحٍ ، يهدف إلى تغيير وضع قائم، بالحجة والإقناع، انطلاق من توظيف آلياتٍ حِجَاجية كعناصر الصورة ، لما تتمتع به من طاقة حِجَاجية تسهم إلى حد كبير في التأثير على عقل المخاطب ونفسه، ومن ثم توجيهه نحو النتيجة المرجوة توجيهًا يجعله مقتنعًا بها.

3. مفهوم الاستعارة:

3. 1 لغة:

يقول ابن منظور: الاستعارة من العارية، وهي معروفة [4]. وقال الزبيدي: «هم يتعيرون من جيرانهم الأمتعة والثياب أي يستعيرون»[5] .

ويقول ابن الأثير: «الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه[6].

3. 2 اصطلاحا:

عّرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله: " اعلم أن "الاستعارة" في الجملة أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون

---

[1]- صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1374هـ

[2]– ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حجج.

[3]– عبد الله صولة، 2001، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ص 27.

[4]– ابن منظور، لسان العرب ، مادة عور.

[5]– الزبيدي محمد مرتضى، 1966، تاج العروس مج ،3ص .435

[6]– ابن الأثير،1995، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية للطاعة والنشر، بيروت، تح محي الدين عبد الحميد، مج 2،ص 77.

هناك كالعارية"[1]. ويختصر العسكري هذا المفهوم في قوله": هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض[2]. " وهي "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له. وقد تقيد بالتحقيقية، لتحقق معناها حسا أو عقلا...فيقال: إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي، فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه. أما الحسي فكقولك: رأيت أسدا، أنت تريد رجلا شجاعا... وأّما العقلي فكقولك: أبديت نورا وأنت تريد حجة، فإن الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس[3].

3. 3 مزية الاستعارة:

للاستعارة فضل كبير في بيان المعاني وجلائها وإبرازها في حلة تسلب الألباب وتخطفها لما حوته من تصوير وتجسيم وتجسيد بديع، وهذا ما يؤكده علماء البلاغة ، يقول القزويني: "وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة" [4]. وهذا التأثير الساحر هو مبتغى كل خطيب، ومراد كل محاجج، وقصد كل متكلم في أية عملية تواصلية مع الغير. الغير.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أثر الاستعارة في إبراز المعاني ومنزلتها حيث يقول: " ومن الفضيلة الجامعة فيها: أنها تبرز هذا البيان أبرز في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا. وأنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجيء من الغصن الواحد أنواعا من الثمر.

وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف البراعة، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها وتقصر عن أن تنازعها مداها فإنك لترى فيها جمادا حيا ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية."[5]

3. 4 حجاجية الاستعارة:

ليست الصور البلاغية – حسب شاييم بيرلمان– مجرد صور فنية وجمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط، كما يتضح ذلك جليا في البلاغة التقليدية التعليمية ، أو ضمن اهتمامات البلاغة المعيارية، بل هي ذات طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز. ويترتب على هذا أن الاستعارة حجاجية وإقناعية ليس إلا. وفي هذا الإطار، يقول بيرلمان:" تعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير؛ إذا بدأ استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض.أما إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، فإن الصورة ستصبح محسنا بديعيا ، لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب.[6]

---

[1]– الجرجاني عبد القاهر، 1991،أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، علق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ص 30.

[2]– العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله،2006، الصناعتين الكتابة والشعر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، تح محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، ص 240.

[3]– القزويني الخطيب،2003، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص .212.

[4]– السابق ص 241.

[5]– الجرجاني، اسرار البلاغة، ص32-33.

[6]– ينظر: جميل حمداوي، 2020، أنواع الحجاج ومقوماته، مطبعة ريف بتطوان،المغرب، ص 110.

وقد قسم البلاغيون الاستعارة إلى أقسام كثيرة، وذلك بالنظر إلى جوانب مختلفة فيها، وقد كان حرص البلاغيين على الإكثار من هذه التقسيمات من أجل زيادة الإيضاح، وبيان الفروق الدقيقة بين أنواعها المختلفة، ولكن ينبغي أن تكون عناية الدارس منصبة على الكشف عن مواطن الجمال في الاستعارة، وبيان الغرض الحجاجي الذي هدفت إليه. حيث تقوم حجاجية الاستعارة عند عبد القاهر على مفهوم الآدعاء، فالاستعارة ليست حركة في الألفاظ، وإنّما هي حركة في المعاني والدلالات، هي ليست بديعا، بل هي طرق الإثبات الذي يقوم على الآدعاء. وقد أفضى البحث المعمق لطه عبد الرحمن لحجاجية الاستعارة عند الجرجاني إلى التوصل إلى أن الآدعاء في الصورة الاستعارية له مبادئ ومقتضيات، وهي:

– مبدأ ترجيح المطابقة: ومقتضاه أن الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي في المطابقة...إلى درجة ينتفي معها الاختلاف والتفاوت بينهما، حتى يصيرا عنده شيئا واحدا والمقتضى المطابقي يحتمل تخريجه على المعنى الظاهر، فضلا عن احتماله الدلالة على المعنى المجازي.

– مبدأ ترجيح المعنى: ومقتضاه أن لاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي في المعنى...

فمدار فهم الاستعارة ليس على المعنى المأخوذ مباشرة من اللفظ، وإنما على معنى ثان يتولد في النّفس بطريق هذا المعنى الأصلي. وهكذا فالمقتضى المعنوي للآدعاء هو أ ن القول الاستعاري، يستند إلى بنية استدلالية.

– مبدأ ترجيح النظم: ومقتضاه أن الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب... فالكلام متعلق بعضه ببعض ومترتب بعضه على بعض بوجه مخصوص، ولا يستقيم إحكام هذا التعلق وضبط هذا الترتيب إلا بتوخي أمرين،

أولهما: مقتضيات العقل: فالنظم ليس مجرد توالي الألفاظ في عملية النطق، وإنّما هو تناسق دلالاتها فيما بينها تناسقا يستوفي شرائط التعليل العقلي.

والثاني قوانين النّحو: وليس النّحو هنا مجرد النّظر في الصور الاعرابية للجمل لتبين وجوه سلامتها التركيبية، بل هو النّظر في أسباب التفاضل التعبيري والتبليغي لهذه الجمل، فضلا عن قيامها بشرائط السلامة التركيبية.

وبهذا المقتضى النظمي للادعاء هو أن القول الاستعاري يصير تركيبا خبريا أصليا لا ينحصر في الربط بين مخبر عنه ومخبر به، بل يضيف إليهما عنصرا ثالثا هو ذات المخبر. وبهذا ينقل الجرجاني القول الاستعاري من مرتبة الدلالة إلى مرتبة التداول التي تتوخى مقتضيات مقام الكلام. لذا فإن القول الاستعاري بالنسبة للجرجاني قائم على بنية استدلالية، تداولية جمالية، ترتكز في خلفياتها المعرفية على الجهاز المفاهيمي للمناظرات الإسلامية والفرق الكلامية في عصر الجرجاني، فقد استعمل بعض المصطلحات المتداولة آنذاك كالآدعاء، الإثبات، التقرير، الاعتراض، الدليل، الشاهد، حيث نقلها إلى الحقل البلاغي، واستعملها في تفسيره للوظائف الجمالية والتأثيرية للصور البلاغية[1].

ويرى ميشيل لوجيرن أنه ليست كل استعارة استعارة حجاجية. وقابل بين نوعين من الاستعارة : الاستعارة الحجاجية، والاستعارة الشعرية، فالأولى غايتها إقناعية، والثانية غايتها جمالية، ولا يعني ذلك أن الاستعارة الحجاجية عنده عارية من كل قيمة جمالية. ويرى

[1]– عالم فايزة، 2019،حجاجية الاستعارة في الحديث النبوي الشريف، مجلة الموروث جامعة احمد بن بلة وهران1، مج 7، عدد 2، ص54.

أن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر نجاحا كلما كانت أشد خفاء، وأن قوتها في عملية الإقناع تتأتى من أنها تستثمر ما تسعفها به البنيات الدلالية للغة [1].

فحجاجية الاستعارة تعني أن "لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس، والفكري بالنفسي. فالاستعارة تسعى إلى إحداث قطيعة وقلب انتظارات، ومفاجأة توقعات وإعادة النظر في نظام الخطاب، وبهذا تسمح، في الوقت نفسه بالإحساس والتفكير، ...كأن هناك خاصية نفسية انفعالية تلازم القول الاستعاري، فالاستعارة لا تسمح بأن يشارك المتلقي متكلّمه في الفكرة أو في الدعوى التي يّد فقط، بل هي تدفعه إلى أن يشاركه إحساسه وانفعاله.[2]

5. نماذج مختارة:

النموذج الأول:

قال الرسول □ :(لرجل: يَسْتَأْذِنُهُ فِي الجِهَادِ أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَفِيهِما فَجَاهِدْ .)[3]

أراد النبي الكريم أن يوجه السائل لمعنى جديد للجهاد و هو بر الوالدين و الإحسان إليهما فأضحى البر عن طريق التجسيم حاملاً للمعاني التي يحملها الجهاد ذاته من رباط و مكابدة و مشقة ذلك أنّ القيام ببر الوالدين و الإحسان إليهما فعل رباط لا يطيقه إلا من أعطي همة عالية ، و هو أيضا رباط مستمر لا يتوقف صاحبه عن العمل و البذل بلا راحة حتى نهاية العمر ، و هو أيضا يستلزم مزيد صبر و ثبات لتحمل ما قد يتعرض له من منغصات في حياته كحبه لنفسه و ملذاتها أو تفضيله لزوجه و أولاده أو قسوة الأبوين مما قد يجعله يقصر في أعمال البر، لذلك جاء التعبير بالجهاد ليوحي بما يترتب على ذلك من أجر عظيم كأجر الجهاد في سبيل الله . و استعارة الجهاد لأعمال البر بالوالدين ينم عن إدراك النبي الكريم(□(للطبيعة النفسية للسائل التي جاء صارفاً جهده للجهاد في سبيل الله ، فأخذ التوجيه النبوي يرمي في نفسه معنى جديداً للجهاد الذي كان ينشده و هو ما قام به التجسيم إذ إنّ فيه إرضاء للسائل و إقناعاً له بأن الطلب الذي سأله هو ذاته ما قام النبي الكريم بإرشاده إليه .

ولكي يكون المعنى واضحاً للسائل فقد جاءت الصياغة النبوية في غاية البلاغة من خلال حذف أداة الشرط و فعل الشرط والإسراع بإلقاء الجواب للمخاطب الذي ذهنه و تفكيره مشغولان به و موجه إليه . يضاف إلى ذلك أنّ تقديم الجار و المجرور على الفعل المستعار في قوله : (ففيهما فجاهد) قد أفاد قصر الجهاد في حالة السائل على الجهاد في بر الوالدين ، و هذا من شأنه أن يزيل الرغبة العارمة لدى الرجل للجهاد في ساحات القتال و أن يصرف كل جهده و اهتمامه لتحقيق معنى الجهاد بإحسانه لوالديه.

و من ثمة فقد اتخذ الرسول الكريم أسوباً مغايراً في الدعوة إلى بر الوالدين و طاعتهما باعتماده على التجسيم الذي كان له بالغ الأثر في توصيل المعنى إلى أقصى درجات الإفهام و الإقناع ، فيندفع السائل اندفاعاً للاستجابة .

---

[1]- ينظر: آمال يوسف المغامسي، 2006، الحجاج في الحديث النبوي، الدار المتوسطية للنشر، ص 271.

[2]- ينظر: محمد الواسطي،2010، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثالث، اعداد و تقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، الاردن، ص 166.

[3]- البخاري، دون تاريخ، صحيح البخاري، دار ابن كثير دمشق، تح مصطفى ديب البغا،مج 3 / 1094.

النموذج الثاني:

قوله ﷺ :(ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَن كانَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ اللَّهُ منه، كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ.)[1]

في هذا البيان النبوي استعارة مكنية ، تظهر في عبارة : " وجد بهن حلاوة الإيمان "،وذلك أن الحلاوة إنما تكون في المطعومات والإيمان ليس مطعوما فقد شبه الإيمان بنحو العسل ، ثم طوى ذكر المشبه به ؛ لأن الاستعارة هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به (عسل ونحوه) حقيقة ، والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذي بينهما هو الالتذاذ وميل القلب إليه، ثم لما ذكر المشبه أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه، وهو الحلاوة على سبيل التخيل، وهي استعارة تخييلية وترشيح ، فنلاحظ في هذه الاستعارة المكنية عدولا عن معلومة جديدة ، وهي تشبيه الإيمان بالعسل بجامع الالتذاذ وميل القلب إليه ، إلى معلومة قديمة وهي كون العسل حلو . وإذا كانت المعلومة الجديدة تمثل حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى كالحكم على الإيمان بأنه حلو، وكانت المعلومة القديمة محل إجماع في عالم معتقدات المخاطبين، فعدوله عن المعلومة الجديدة إلى المعلومة القديمة؛ لكون القديمة أقدر على توجيه الملفوظ نحو النتيجة المرادة منه، وهي ذات طاقة حجاجية أرقى من الجديدة. وهذا احتجاج واضح للمستعار له بهدف التأثير والإقناع بحيث يمارس المخاطب على المتلقي نوعا من الضغط يهدف إلى حمله على التصديق بمدلول الخطاب، والتسليم به والركون إليه.

النموذج الثالث:

مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقالَ: اتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي قالَتْ: إلَيْكَ عَنِّي، فإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبَتِي، ولَمْ تَعْرِفْهُ، فقِيلَ لَهَا: إنَّه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأتَتْ بَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقالَ: إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى. "[2].

اتجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الهدف مباشرة بقوله ":إنما الصبر عند الصدمة الأولى". فهذه هي الرسالة المراد إيصالها للمتلقي بلا غموض ولا حشو ولا تطويل في غير حاجة.

"إنما الصبر عند الصدمة الأولى" هي موضع الشاهد وبيت القصيد ، حيث تحمل بعدًا حِجَاجِيا يكمن في ادعاء أن المستعار له هو نفسه المستعار منه تأكيدا وتشديدا وقوة في إثبات هذا الاتحاد وتقرير أمر هو محل إنكار واعتراض من المتلقي. وكان سبيله (صلى الله عليه وسلم) إلى ذلك – فضلا عن الاستعارة آليات تخدم المعنى وتقويه ومنها:

– التأكيد بـ (إنّ) واسمية الجملة : وهذا يناسب حالة الإنكار التي كانت عليها المرأة ، وما عليه العرف وقتئذ.

– اسمية الجملة تفيد الثبوت والدوام لقيمة الصبر عند الصدمة الأولى، حينها يُكتب عند الله من الصابرين.

– استعارة لفظ (الصدمة) لأول حدوث المصيبة ، لأنها تصدم العقل والقلب والنفس وأصل الصدم ضرب الشيء الصُلب بمثله . وهو تعبير دقيق عما يصيب العقل والقلب وقت حدوث المصيبة.

[1]– مسلم بن الحجاج، 1412هـ، صحيح مسلم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، مج 1، ص66.

[2]– البخاري ، حديث رقم ، 1283كتاب الجنائز.

فالمستعار منه هو: ضرب جسم صلب بمثله، و المستعار له ما يصيب القلب فجأة لحظة وقوع المصيبة . واللفظ المستعار هو الصدمة على سبيل الاستعارة التصريحية .

والعبارة الموجزة المقتضبة المركزة (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) هدف أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم)إبلاغه رحمة ورأفة بالمرأة ؛ حتى لا يجتمع عليها مصيبتان : الهلاك ، وفقدان الأجر، لعلها تستغفر فيغفر الله لها ؛ لعدم علمها ، ولانصياعها لنصح الرسول (صلى الله عليه وسلم. وبهذا تحقق البعد الحِجَاجِي المؤثر في المتلقي من خلال التشخيص والابتكار في الصورة الاستعارية ، وأصابت الاستعارة موضعها حيث لم تكن الحقيقة تفي بالمراد في هذا الموقف[1].

النموذج الرابع:

قوله ﷺ: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ.) [2].

فالنبي الكريم استعار الغنيمة للمرأة ذات الدين ، و استعار الظفر للدلالة على الزواج بها ، إذ لا يقترن الطالب بها إلا بعد قتال ونزاع مرير ، و في هذا إشارة إلى اضطراب و انفعال الراغب في الزواج إذ تميل نفسه إلى الغنية أولاً فذات النسب فصاحبة الجمال ثم تأتي صاحبة الدين أخيراً ، و إعادة ترتيبه لهذه الصفات يتطلب منه أن يدخل في صراع نفسي عنيف بين العقل الذي يميل لما يصلح له في الآخرة ، و بين النفس التي تميل إلى زخارف الدنيا و اتباع الهوى ، و لهذا كانت استعارة الظفر في هذا الموضع مناسبة تماماً لمعنى الحديث ؛ و ذلك ترغيباً و حثاً و بياناً أنه حظي بغنيمة و مكسب كبيرين و هي المرأة ذات الدين و قد وصفت بذلك للدلالة على شدة لصوق الدين بها حتى صار جزءاً منها ، و أتى الفعل المستعار(فاظفر) بصيغة الأمر ليوحي بضرورة المسارعة و الحسم باختيار ذات الدين عند انتقاء الزوجة يضاف إلى ذلك أن الفعل المستعار جاء جواباً للشرط فصياغة الحديث الشريف قائمة على أسلوب شرط محذوف أي إذا عزمت على الزواج فاظفر بذات الدين ، فحذف فعل الشرط للفت انتباه المتلقي للجواب الذي هو الأصل و المراد الذي نهض به مضمون الحديث الشريف[3] .

النموذج الخامس:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ.)[4]

فالاستعارة في قوله (بني)، حيث شبه النّبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بالبناء، ولكنه حذف المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه وهو لفظ (بني،) والعلاقة بينهما هي الكمال وتماسك الأجزاء، وهي "من الأحاديث التي اشتملت على التجريد في

---

[1]- ينظر: عزة مهدي احمد علي،2019، دراسة بلاغية للأبعاد الحجاجية في الخطاب النبوي، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا، مصر، مج 88، العدد 1، ص 145-146.

[2]- البخاري : 5/ 1958

[3]- ينظر: عائشة عبد الكريم، محمد ماجد العطائي، 2018، الصورة الاستعارية في الحديث النبوي الشريف دراسة في متن (اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية جامعة البعث حمص سوريا، عدد 41،ص 115.

[4]- البخاري، 8، 4515.

الاستعارة، لأن قوله صلى الله عليه وسلم المفصل لأركان الإسلام يعد تجريدا للاستعارة، لأن هذه الأركان بدءاً من شهادة أن لا إله إلا الله...، مما تلائم المشبه الذي هو الإسلام وبها يعرف المسلم[1]".

فالله عز وجل حكيم، حيث بنى الإسلام العظيم على هذه الدعائم الخمس من أجل امتحان العباد...فتنوعت هذه الدعائم الخمس على هذه الوجوه تكميلا للامتحان، لأن بعض النّاس يسهل عليه أن يصوم، ولكن لا يسهل عليه أن يبذل قرشا واحدا، وبعض الناس يسهل عليه أن يصلي، ولكن يصعب عليه أن يصوم. فالإسلام دين له أسس ودعائم يكمل بعضها بعضا، فإذا انهارت إحدى دعائمه انهار البناء كلّه. فالمرء لا يصح اسلامه حتى يأتي بكل هذه الدعائم التي تعتبر فرائض واجبة، حتى يكتمل دينه ويقوى إيمانه، فتحل لنا موالاته. وائتمانه على مصالح المسلمين، فهنا استعارة مكنية استوفت المعنى وقدمته متماسكا قويا يشد بعضه بعضا كما تشّد الأوتاد أجزاء البناء، فيستشعر المتلقي بقوة اسلامه ومتانته حين يأتي بهذه الأركان، فيرسخ ايمانه ويثبت كثبات الأوتاد في البناء القوي. فحجاجية هذه الاستعارة من قبيل حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وهي من صنف الحجج شبه المنطقية حسب تصنيف بيرلمان[2]، و هذا ما يؤكد أهمية ما تحمله الاستعارة من طاقة حجاجية لإقناع المتلقي.

6. خاتمة:

وفي الأخير تم التوصل إلى النتائج التالية:

– الخطاب النبوي متميز عن غيره من سائر أنواع الخطاب البشري فلئن كان التصوير عند الأدباء والشعراء ضربا من الخيال المجنح، الجانح عن جادة الحق أحيانا، فإن الصورة في الحديث النبوي صورة واقعية صادقة يمتزج فيها الجمال بالحق، وهي ليست مقصودة لذاتها، ولكنها عنصر مساعد للفكرة غير طاغ عليها، استدعاه المقام ورجح الاستعانة به ، فكانت الصورة بمثابة إضاءة رائعة متمكنة من موقعها، متضامنة مع المحتوى الفكري للنص، ومسهمة في إيضاحه، وذات قدرة على التأثير المقنع.

– توظيف الاستعارة في الخطاب النبوي الشريف باعتبارها آلية من آليات الحجاج تسهم إلى حد ما في التأثير على عقل المخاطب ونفسه، وتوجيهه نحو النتيجة توجيها يجعله مقتنعا بها وذلك لما للاستعارة من طاقة حجاجية تكمن في قدرتها على التأثير في نفسية المتلقي، وعواطفه ومشاعره، وحمله على الاقتناع بواسطة الانتقال من مما هو مجرد ومعنوي إلى ما هو حسي، الذي يقوي الشعور لديه بحضور الأشياء من جهة، واستمداد مادة صورتها من المحسوس من جهة أخرى.

– البيان النبوي لا يقف عند حدود الدقة و الإحكام في صياغة الصورة الاستعارية فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى تحقيق غايات تعليمية و توجيهية و تربوية .

[1]– ينظر: عالم فايزة، حجاجية الاستعارة...،ص 56.

[2]– السابق، ص57.

المراجع:

- ابن الأثير،1995، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية للطاعة والنشر، بيروت، تح مح الدين عبد الحميد.
- ¯ أمال يوسف المغامسي، 2006، الحجاج في الحديث النبوي، الدار المتوسطية للنشر.
- البخاري، دون تاريخ، صحيح البخاري، دار ابن كثير دمشق، تح مصطفى ديب البغا.
- جميل حمداوي، 2020، أنواع الحجاج ومقوماته، مطبعة ريف بتطوان، المغرب.
- الجرجاني عبد القاهر، 1991،أسرار البلاغة،دار المدني، جدة، علق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر.
-- حورية عميروش،حجاجية الصورة الفنية في الحديث النبوي،مجلة دراسات لسانية،مج 2،ع 8، 2018، جامعة الجزائر2
- الزبيدي محمد مرتضى، 1966، تاج العروس، دار صادر بيروت.
- الصباغ محمد بن لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الاسلامي، ط 1، 1983.
- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله،2006، الصناعتين الكتابة والشعر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، تح محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم.
- عالم فايزة، 2019،حجاجية الاستعارة في الحديث النبوي الشريف، مجلة الموروث جامعة احمد بن بلة وهران1.
- عائشة عبد الكريم، محمد ماجد العطائي، 2018، الصورة الاستعارية في الحديث النبوي الشريف دراسة في متن (اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان)،

مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية جامعة البعث حمص سوريا.
- عبد الله صولة، 2001، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشةرات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس.
- عزة مهدي احمد علي،2019، دراسة بلاغية للأبعاد الحجاجية في الخطاب النبوي، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا، مصر.
- علي بعداش، الابعاد الحجاجية للصورة البيانية في الخطاب النبوي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة محمد لمين سطيف 2، عدد 24، 2017.
- عيد بلبع، 2008، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع.
- القزويني الخطيب،2003، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد العمري، 2012، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق،المغرب.
- محمد الواسطي،2010، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثالث، اعداد

و تقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، الاردن.
- مسلم بن الحجاج، 1412ه، صحيح مسلم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.
- ابن منظور، 1414ه، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حجج.